## سورة الحجر

سورة الحِجْرِ مكيّة وآياتها تسع وتسعون آية.

[١] سبق الكلام علىٰ الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

ثم أخبر جل وعلا أن هذا القرآن العظيم كتاب شامل كامل يحتوي علىٰ آيات واضحة بيِّنَةِ المعاني، ومُظهِرٌ في تفاصيله جميع الأحكام التي يحتاجها البشر، وهو كتاب فرَّق الله به بين الحق والباطل.

[٢] ثم أخبر جل شأنه أن جميع الكفار سوف يتمنون يوم القيامة لو كانوا مسلمين من شدة ما يرون من أهوالها.

قال بعض المفسرين: إن الكفار وهم في النار إذا رأوا الذين معهم من أصحاب المعاصي قد تطهروا من ذنوبهم ثم خرجوا من النار قال لهم الذين كفروا: ليتنا كنّا مسلمين، والآية تحتمل الجميع.

[٣] ثم أمر عز وجل نبيه ﷺ أن يترك هؤلاء الكفار يتمتعون بهذه الحياة الفانية؛ فيأكلون ويشربون ويلعبون ويلهون، ويلههم الأمل؛ فسوف يعلمون يوم القيامة حقيقة أمرهم وما هم عليه من الباطل، وأنَّ باطلهم هو الذي ألهاهم عن الآخرة والاستعداد لها، وفي هذا تهديد ووعيد شديد لهم.

[٤] واعلم يانبي الله أن الله جل في علاه ما أهلك قرية من القرىٰ الكافرة المستحقة للهلاك؛ إلا لمَّا حان أجلهم، وجاء وقتهم المحدد لهم في اللوح المحفوظ.

[٥] ثم أخبر سبحانه أنه ما كان لأمة من الأمم ولا لقرية من القرىٰ أن تسبق أجلها الذي حدده الله لها، أو تتأخر عنه، ولو لساعة.

[٦] ثم أخبر جل وعلا أن الكفار المكذبين للنبي ﷺ يقولون علىٰ وجه الاستهزاء والسخرية: ياأيها الذي أنزل عليه القرآن كما تزعم: إنك لفاقد لعقلك، ومصاب بالجنون، ولا تدري ما تقول.

[٧] ثم قال هؤلاء الكفار: فإن كنت صادقًا فَأْتِنَا بالملائكة حتىٰ تشهد لك، وتصدقك فيما تقول.

[٨] فرد المولىٰ عز وجل علىٰ هؤلاء المعاندين، بأن الملائكة لا ينزلون بالاقتراحات ولا بالأمنيات؛ إنهم لا ينزلون إلا لإحقاق الحق وإبطال الباطل بأمر ربهم، ثم بين سبحانه أنه لو نزَّل عليهم الملائكة -كما طلبوا- ثم لم يؤمنوا لعجل لهم بالعقوبة ولمَا أمهلهم كالأمم السابقة؛ حيث طلبوا المعجزات ثم لم يؤمنوا فحلّت بهم العقوبة.

[٩] ثم ذكر سبحانه وتعالىٰ فضله علىٰ أمة محمد ﷺ؛ بحيث نزَّل عليهم الذكر وهو القرآن العظيم، وتعهد بحفظه من التغيير والتبديل والزيادة والنقصان، وهذا الحفظ خاصّ بالقرآن، أما الكتب السماوية الأخرىٰ فقد وُكِّلَ حفظها لِمَن آمن بها من الأمم السابقة، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[المائدة:٤٤]، أي: بما طُلِبَ منهم حفظه؛ فعبثوا به وبدّلوا وزادوا ونقصوا حسب رغباتهم وأهوائهم.

[١٠] ثم سلىٰ جل وعلا نبيه ﷺ فأخبره أنه أرسل كثيرًا من قبله من الرسل إلىٰ أقوامهم وجماعاتهم وفرقهم، يدعونهم إلىٰ التوحيد.

[١١] وأخبره سبحانه أن هؤلاء الأقوام ما جاءهم من رسول يدعوهم إلىٰ التوحيد إلا كذَّبوه واستهزأوا به، وهذا هو دأب جميع الأقوام مع رسلهم.

[١٢] ثم بين جل في علاه أنه كما سلك كتب الرسل السابقين في قلوب أولئك المستهزئين حتىٰ فهموه ثم كفروا؛ فسوف يسلك سبحانه هذا القرآن في قلوب هؤلاء المجرمين من قومك يانبي الله؛ فيفهمونه ويدركون معانيه، ومع ذلك يصرون علىٰ كفرهم وعنادهم وجحودهم.

[١٣] ثم أخبر سبحانه وتعالىٰ أن هؤلاء المجرمين لن يؤمنوا بهذا القرآن ولن يصدقوا بهذا النبي حتىٰ يأتيهم العذاب، وقد مضت سنّة الله وعادته بإهلاك الظالمين المعاندين؛ فإذا استمر قومك يانبي الله علىٰ التكذيب والعناد فسوف يصيبهم ما أصاب المكذبين من الأمم السابقة.

[١٤] ثم أخبر جل وعلا أن كفار مكة وصلوا مرحلة بعيدة من التكذيب والاستهزاء والعناد؛ بحيث إنهم لو فُتح لهم باب إلىٰ السماء وصعدوا بأنفسهم، ورأوا بأعينهم آيات الله الدالة علىٰ وحدانيته؛ لكذّبوا وأصروا علىٰ الكفر والعناد.

[١٥] بل أخبر سبحانه أنهم سيقولون: إنَّ علىٰ أعيننا غطاء وغشاوة، ولم نتحقق مما نراه بسبب سحر محمد إيانًا.

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾
وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ
فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا
رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ
فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا
عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا
الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ
لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾
وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ
﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن
قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا
مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ
مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾



[١٦] يخبر جل وعلا أنه جعل في السماء بروجًا، وهذه البروج هي: منازل القمر والشمس التي تحدد فصول السنة صيفًا وشتاءً، وهي: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت، وجعل في هذه السماء نجومًا وهي علامات يُهتدىٰ بها في ظلمات البر والبحر، ويعرف الناس بها عدد السنين والحساب، وبين جل شأنه أنه زين هذه السماء بهذه النجوم وجعلها جميلة في عين الناظر لها.

[١٧] ثم أخبر سبحانه أنه حفظ هذه السماء ومنعها من كل شيطان ملعون مرجوم مطرود من رحمة الله.

[١٨] ثم أخبر سبحانه أن تلك الشياطين التي تحاول الاستماع للوحي فهذه يدركها شهاب سريع واضح مضيء فيحرقها غالبًا.

[١٩] ثم أخبر جل وعلا أنه فرش الأرض ومهدها وبسطها ووسعها، ووضع فيها جبالًا عظيمة كبيرة تثبّتها وترسّيها لئلا تضطرب وتتحرك، وأخرج من هذه الأرض الزروع والأشجار التي منها طعام الناس والحيوان، وكل ذلك بقدْر معلوم، وكمية محسوبة.

[٢٠] ثم أخبر سبحانه أنه يسّر للناس المعيشة علىٰ هذه الأرض، وسهل لهم أنواع المكاسب والمأكولات والمشروبات، كما يسّر لهم من ينتفعون بخدمتهم، ولم يجعل رزق ذلك عليهم؛ بل تكفل سبحانه برزقهم وتولي أمرهم.

[٢١] واعلموا أيها الناس أنه ما من شيء من الأرزاق والمنافع والأسباب والحاجات إلا خزائنها بيد الله وحده، وخزائن الرحمن ملأىٰ لا تغيضها ولا تُنقِصها النفقة، يعطي من يشاء بلطفه ورحمته، ويمنع من يشاء بعدله وحكمته، وما ينزّل سبحانه شيئًا من ذلك إلا بقدر معلوم محدد، لا زيادة فيه ولا نقص.

[٢٢] ثم أخبر جل وعلا أنه أرسل الرياح لتلقح السحاب والأشجار؛ فهي تحمل اللقاح من الذكر للأنثىٰ فينزل المطر بإذن الله؛ فيشرب منه الناس والأنعام، وتحيا به الأرض فتخرج الثمار والزروع والأشجار، واعلموا أنكم لستم بقادرين علىٰ تخزين هذا الماء، وإنما الله هو الذي يخزنه ويحفظه لكم رحمة بكم.

وقوله: ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾: هذه أطول كلمة في القرآن.

[٢٣] ثم أخبر جل في علاه أنه هو الذي يحيي ويوجد الخلق من العدم، وأنه هو الذي يفنيهم ويميتهم بعد الحياة، وأنه هو الذي يرث الأرض ومن عليها بعد فناء الخلق أجمعين.

[٢٤] ثم أخبر جل شأنه أنه هو وحده الذي يعلم أحوال خلقه أجمعين من تقدم منهم ومن تأخر، ومن مضىٰ ومن سيأتي إلىٰ يوم القيامة. قال الحسن: المستقدمين في الطاعات والمستأخرين فيها.

[٢٥] ثم أخبر جل وعلا أن مرجع هؤلاء جميعًا إلىٰ الله يجمعهم جميعًا في صعيد واحد يوم القيامة؛ ليحاسبهم علىٰ أعمالهم، وإنه سبحانه حكيم يضع الأمور في مواضعها، عليم لا يخفىٰ عليه شيء من أمور الخلق، وذلك هو المقصود من الحشر.

[٢٦] ثم أخبر جل شأنه أنه خلق أبانا آدم من طين يابس قد تخمّر فأصبح له صوت كصوت الفخار إذا نُقر عليه، ولون هذا الطين أسود قد تغيّر لونه وريحه من طول مكثه.

[٢٧] وأخبر سبحانه أنه خلق أبا الجن، وهو إبليس - قبل خلق آدم -، وبين أنه خلقه من لهب نار صافية شديدة الحرارة، وسُمِّيَ: جانًّا؛ لأنه لا يُرىٰ في الدنيا علىٰ صورته التي خلقه الله عليها.

[٢٨] واذكر يانبي الله يوم أن قال ربك للملائكة: إني خالق بقدرتي إنسانًا من طين يابس، وهذا الطين مكث الماء فوقه زمانًا حتىٰ تغير شكله وريحه.

[٢٩] ثم قال جل وعلا للملائكة: فإذا اكتمل خلق هذا الإنسان وهو آدم عليه السلام ونفخت فيه من روحي، فيجب عليكم أن تخرُّوا له ساجدين.

[٣٠] ثم أخبر سبحانه أن جميع الملائكة سجدوا امتثالًا لأمر الله لهم، وتكريمًا لآدم، وهذا السجود سجود احترام وتكريم وليس سجود عبادة؛ لأن سجود العبادة لا يصلح إلا لله وحده.

[٣١] وبين سبحانه أن إبليس رفض أن يسجد استكبارًا وحسدًا لآدم. وأَمْرُ الله للملائكة وإبليس بالسجود كان في وقت واحد، كما قال تعالىٰ لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف:١٢]؛ فامتثلت الملائكة الأمر، أما إبليس فأخذته العزة بالإثم، ورأىٰ أن آدم أقل شأنًا منه، وغرته نفسه ونسي تقديس الآمر جل وعلا ووجوب طاعته.

قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٣٢ قَالَ لَمۡ أَكُن
لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٣٣
قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٣٤ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ
ٱلدِّينِ ٣٥ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ
مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٣٧ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٣٨ قَالَ رَبِّ بِمَآ
أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ
٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ
مُسۡتَقِيمٌ ٤١ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ
ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ٤٢ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٤٣
لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ٤٤ إِنَّ
ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ٤٥ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ٤٦
وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ
٤٧ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ٤٨
نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي
هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠ وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٥١



[٣٢] ثم قال الله جل في علاه: لماذا لم تسجد ياإبليس مع الملائكة؟

[٣٣] فقال إبليس تعظيمًا لنفسه وحسدًا لآدم: أنا أعلىٰ من أن أسجد لبشر خُلِقَ من طين يابس أسود نتن.

[٣٤] فقال الله آمرًا إبليس: اخرج من الجنَّة فإنك مطرود من رحمتي.

[٣٥] واعلم ياإبليس أن عليك اللعنة والطرد والإبعاد إلىٰ يوم الحساب والجزاء، وهكذا باء بخزي الدنيا وعذاب الآخرة، والطرد من الجنة، ولعنة الله وسخطه.

[٣٦] ثم طلب إبليس من الله البقاء إلىٰ يوم البعث، فقال: يارب أجلني إلىٰ اليوم الذي يبعث فيه آدم وذريته، وهو اليوم الذي يبعث فيه الناس للحساب والجزاء، يريد بذلك أن لا يموت.

[٣٧] فأجاب جل وعلا طلبه وقال له: فإنك من المؤجلين.

[٣٨] ولكن أخبر سبحانه أنه لم يؤجل إبليس إلىٰ يوم البعث، وإنما أرجأه إلىٰ يوم الوقت المعلوم، وهو يوم القيامة الذي يموت فيه جميع الخلق إنسهم وجنهم وكل ما علىٰ الأرض، وذلك لحكم قدرها الله، منها: أن يميز الله عباده فيظهر الخبيث والطيب؛ ولذلك بعث الله رسله ليقتدي بهم السعداء، وأما الأشقياء فيتبعون الأبالسة.

[٣٩] ثم احتج إبليس بقضاء الله وقدره الكوني علىٰ غوايته، وأخذ العهد علىٰ نفسه أن يزين لهم الذنوب والمعاصي في الدنيا بأن يحسِّن لهم القبيح، ويحبب الشهوات إلىٰ نفوسهم حتىٰ يتبعوها. والباء في قوله: ﴿بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾، إما أن تكون باء القسم فهو يحتج علىٰ الله ويريد الانتقام من آدم وبنيه، أو تكون باء السببية، وفي كلا الأمرين نصَّب نفسه وكرَّس حياته المديدة لإغواء البشر.

[٤٠] ثم أدرك الخبيث أنه لا يمكن له إغواء عباد الله الربانين الموحدين الذين حفظهم الله بحفظه؛ فاستثنىٰ من الإغواء عباد الله المخلصين، الذين أخلصوا أعمالهم لله وحده.

[٤١] ثم قال جل وعلا: اعلم ياإبليس أن طريق الهداية والإيمان الموصل إلىٰ جنتي مرجعه إليَّ، ويوم القيامة سوف أجازي كلًّا بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

[٤٢] واعلم ياإبليس أيضًا أن عبادي الصالحين المخلصين ليس لك عليهم ولاية ولا سبيل، أما مَن غلبت عليه نفسه واتبع الهوىٰ والشيطان والضلال فهو خارج من رحمة الله وعصمته.

[٤٣] ثم توعد جل وعلا إبليس ومن تبعه وأطاعه أن مصيرهم سيكون نار جهنم الحارقة، الشديدة الحرارة.

[٤٤] وبين سبحانه أن جهنم لها سبعة أبواب، كل باب أسفل من الآخر، ولكل باب مجموعة من أتباع إبليس تدخله، مقسوم ومحدد لهم بحسب أعمالهم ودركاتهم.

[٤٥] ثم أخبر جل وعلا عن حال عباده المتقين الموحدين الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وناره وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه؛ أنهم في جنات وبساتين خضراء يانعة تجري من تحتهم الأنهار والعيون في مناظر بديعة جميلة.

[٤٦] ثم بين سبحانه أنه يقال لهم حال دخولهم: ادخلوا هذه الجنات وأنتم سالمون من كل كدر ومنغِّص كالموت والمرض والفقر، وآمنين من كل عذاب وخوف.

[٤٧] وبين سبحانه أنه أخرج من قلوب عباده المتقين كل حقد أو عداوة؛ فَصَفَتْ قلوب بعضهم علىٰ بعض، فليس بينهم عداوة ولا بغضاء ولا شحناء، فصاروا إخوة يزور بعضهم بعضًا، ويتسامرون وهم جلوس علىٰ مجالس رفيعة متقابلين ينظر بعضهم إلىٰ بعض للمحادثة والمؤانسة.

[٤٨] ثم بين سبحانه أنه لا يصيبهم في الجنة تعب ولا إعياء ولا هَمٌّ ولا حَزَن؛ فهم في نعيم أبدي تامٍّ، خالدين فيها خلودًا أبديًّا لا يخرجون منها.

[٤٩] أمر جل وعلا نبيه ﷺ أن يخبر الناس خبرًا يقينيًّا لا شكَّ فيه؛ أنه سبحانه كثير المغفرة لِمَن وحَّد وتاب، وكثير الرحمة لمن رجع وأناب.

[٥٠] وأمره سبحانه أن يخبرهم أن عذابه لمن أشرك به وعصاه عذابٌ شديدٌ موجعٌ، لا يتحمله أحد، فليحذر المؤمن وليخاف علىٰ نفسه، وليَعِشْ بين الخوف والرجاء والعمل الصالح حتىٰ ينجو.

[٥١] ثم أمره سبحانه وتعالىٰ أن يخبر قومه عن قصة ضيوف إبراهيم عليه السلام، وهم ملائكة أتوه علىٰ صورة بشر.

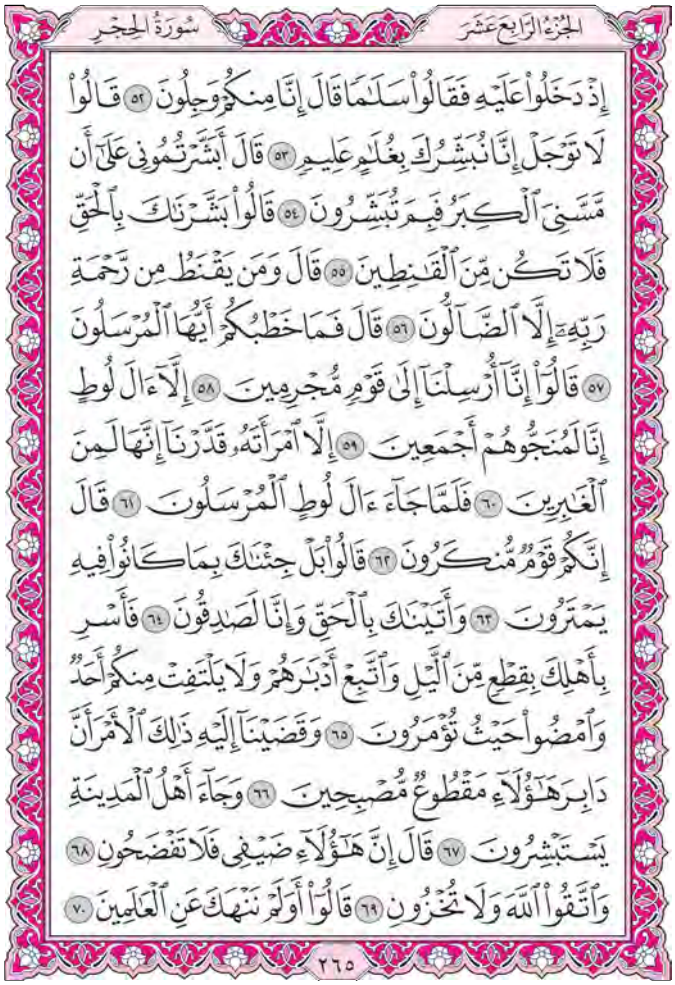


[٥٢] فلمّا دخل الضيوف علىٰ إبراهيم قالوا له: سلامًا، فرد عليهم السلام، ثم قدم لهم طعام الضيافة ولمَّا رآهم لا يأكلون منها قال لهم: إنا منكم فزعون خائفون.

[٥٣] فقال الضيوف لإبراهيم: لا تخف ولا تفزع، ثم طمنوه وبشروه بغلام كثير العلم.

[٥٤] فقال لهم متعجبًا: أتبشروني بالولد وقد كبر سني؟! فكيف يكون هذا مع عدم توفر أسبابه؟!

[٥٥] فأجابوه: لقد بشّرناك ببشرىٰ حق وحقيقة، فلا تيئس ولا تستبعد حصول ذلك الخير لك من الله فقدرته لا تحد.

[٥٦] فأجابهم قائلًا: إنه لا ييأس من رحمة الله وفضله وإحسانه إلا من ضل طريق الصواب، وغفل عن رحمة الله الكريم التواب.

[٥٧] ولمَّا اطمأن إبراهيم عليه السلام إلىٰ أضيافه وهدأ خوفه سألهم عن مهمتهم الكبرىٰ التي أتوا لأجلها؛ لأن البشارة وإن كانت مهمة إلا أنها من الممكن أن تأتي برؤية منامية كما في قصة إسماعيل.

[٥٨] فقالوا له: إن الله أرسلنا إلىٰ إهلاك قوم لوط المشركين الضالين، الذين يفعلون فاحشة اللواط الشنيعة.

[٥٩] ثم استثنوا لوطًا عليه السلام وأهله المؤمنين به من هذا الإهلاك؛ وقالوا: إنا سوف ننجيهم أجمعين.

[٦٠] ثم قال الملائكة: أما زوجته لوط المنافقة فقد أمرنا الله بإهلاكها، وسوف يصيبها ما يصيب هؤلاء الهالكين.

[٦١] ثم أخبر سبحانه أن الملائكة انتقلوا من عند إبراهيم وذهبوا إلىٰ لوط عليهما السلام.

[٦٢] ثم بين جل شأنه أن الملائكة لمَّا جاءوا إلىٰ لوط عليه السلام قال لهم: إنكم قوم غرباء؛ لم أعرفكم، فما تريدون؟ وكان عليه السلام يتحدث معهم بأسلوب يوحي أنه متضايق لأنه خاف علىٰ هؤلاء الأضياف حسان الوجوه من قومه الضالين أصحاب هذه الفاحشة المنكرة، وقد صرح القرآن بهذا الضيق، في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾[هود:٧٧].

[٦٣] فقال الملائكة للوط عليه السلام: إننا يالوط رسل من عند الله، وقد جئنا قومك بالعذاب الذي كانوا يشكّون فيه ويكذّبونه.

[٦٤] ثم قالوا له أيضًا: كما أننا أتيناك من عند الله بالحق الذي لا هزل فيه، وإنا لصادقون فيما أخبرناك به.

[٦٥] ثم قال الملائكة للوط: فإذا أظلم الليل يالوط فاخرج بأهلك ومن معك من المؤمنين، واجعلهم أمامك، وكن خلفهم لئلا يتخلف أو يتلكأ منهم أحد فيصيبه العذاب، فإذا خرجتم فلا يلتفت منكم أحد لكي لا يصيبه الرعب من رؤية هول ما يحل بهم، وسيروا مسرعين إلىٰ حيث أمركم الله.

[٦٦] ثم أخبرت الملائكة لوطًا عليه السلام خبرًا جازمًا أن العذاب سيُصبِّح قومه مُسْتأصِلًا إياهم.

[٦٧] ولمّا علم أهل المدينة التي يسكنها لوط عليه السلام بمقدم ضيوفه؛ جاؤوا مسرعين مستبشرين فرحين، طامعين في فعل الفاحشة بأضيافه.

[٦٨] فقال لهم لوط عليه السلام مدافعًا ومنافحًا عن أضيافه: ياقوم إن هؤلاء ضيوفي، فلا تؤذوني فيهم، ولا تذلوني بفعل المنكر معهم.

[٦٩] ثم قال لهم لوط عليه السلام: وإذا لم يكن عندكم شهامة ونخوة ومعرفة لحق الضيف، فاجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية، بأن تكفوا عن إرادتكم هذا المنكر، ولا تجعلوني ممن لحقهم الخزي والعار بسبب عدم حفظي لأضيافي.

[٧٠] فأجابوه قائلين: ألم يسبق أن أنذرناك ونهيناك يالوط عن استضافة أحد من العالمين؟!

قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٧١ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ
يَعۡمَهُونَ ٧٢ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ٧٣ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا
سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ٧٤ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ٧٥ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ٧٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٧٧ وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ٧٨
فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ٧٩ وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ
ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٨٠ وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ
٨١ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ٨٢ فَأَخَذَتۡهُمُ
ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ٨٣ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٤
وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٦ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي
وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ٨٧ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا
مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ وَقُلۡ
إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ٨٩ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ٩٠



[٧١] ثم قال لهم لوط: هؤلاء بناتي -وقيل: نساء قومي- فتزوجوهن بالحلال، ولا ترتكبوا الحرام، إن أردتم قضاء وطركم.

[٧٢] ثم أقسم جل وعلا بحياة محمد ﷺ فقال: اقسم لك يانبي الله أن قوم لوط في سكرة الشهوة والضلال، وأنهم في حيرة وضلال وتردد. قال ابن عباس: «ما خلق الله تعالىٰ نفسًا أكرم علىٰ الله من محمد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره»، وربما كان قصده من البشر، ولست أدري ما الذي اعتمد عليه في كلامه؛ لأن الله أقسم بنفسه وأقسم بمخلوقاته، فقال تعالىٰ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ﴾ [التين:١]، وقال: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشمس:١]، وغيرها من الآيات، وله الحق سبحانه أن يقسم بما شاء.

[٧٣] ثم أخبر سبحانه أنه حلّت بقوم لوط صيحة عالية مهلكة وقت شروق الشمس.

[٧٤] ثم أخبر أن الملائكة قلبت عليهم مدينتهم ظهرًا علىٰ بطن، وأمطرت الملائكة - بأمر الله - عليهم حجارة من طين متحجر عليها سمة العذاب تتبع من فرَّ منهم فتهلكه. وقيل: مكتوب علىٰ كل حجر اسم من ستهلكه.

[٧٥] واعلموا أيها الناس أن فيما مرَّ من قصة قوم لوط وعنادهم وتكذيبهم وارتكابهم أشنع السيئات، ثم في إهلاكهم وأخذهم بالعذاب لآيات وعلامات واضحات يعتبر بها كل متأمل ومتفكر وصاحب فراسة.

[٧٦] واعلموا أيضًا أن قرىٰ قوم لوط ومساكنهم التي أهلكهم الله فيها لعلىٰ طريق قائم يراها السالكون الذين يمرون بها.

[٧٧] ثم عاد سبحانه وأخبر أن في هذه القصة لآيات وعلامات واضحات للمؤمنين المصدقين الموحدين يعتبرون بها.

[٧٨] ثم ذكر جل وعلا أصحاب الأيكة الذين أرسل إليهم شعيبًا عليه السلام كما أرسله إلىٰ قومه أصحاب مدين، وأغدق عليهم أنواع النعم، ومع ذلك لم يؤمنوا؛ حيث أخبر سبحانه أنهم كانوا ظالمين؛ فكانوا يطففون المكيال والميزان، ويظلمون الناس فلا يعطونهم حقوقهم.

[٧٩] ثم أخبر سبحانه أنه انتقم منهم فأهلكهم بالصيحة، وأخبر أن مساكنهم ومساكن قوم لوط الدالة علىٰ قصصهم مع أنبيائهم لباقية علىٰ طريق قائم واضح يسلكه المسافرون من الجزيرة والشام.

[٨٠] ثم أخبر سبحانه عن أصحاب الحِجْر وهم ثمود قوم صالح عليه السلام، فأخبر الله عنهم أنهم كذّبوا المرسلين، ومن كذّب برسول واحد فقد كذّب بجميع المرسلين.

[٨١] وأخبر سبحانه أنه أعطاهم الآيات والمعجزات الدالة علىٰ صحة ما جاءهم به صالح من التوحيد وترك الشرك، ومن جملة ذلك: الناقة؛ فأعرضوا عنها وتجبروا وتكبروا عليها، وعقروا الناقة، ولم يوحدوا، واستمروا علىٰ شركهم.

[٨٢] وأعطاهم سبحانه قدرة عجيبة علىٰ نحت الجبال، واتخاذ مساكنَ فيها، يكونون فيها آمنين شتاءً من البرد، وصيفًا من الحر، ويكونون فيها مطمئنين، وقيل: إنهم كانوا ينحتون في الجبال قبورهم ويتخذون من سهل الأرض قصورًا لسكناهم.

[٨٣] ثم بين سبحانه أنه لمّا لم يؤمنوا أهلكهم بالصيحة مبكرين، فسقطوا صرعىٰ في ديارهم جاثمين.

[٨٤] وبين سبحانه أنه لم ينفعهم ولم يغن عنهم ما كانوا يكسبون من نحت الجبال بيوتًا، ولا اتخاذ القصور الفخمة، ولا غير ذلك.

[٨٥] ثم أخبر جل وعلا أن خلق السماوات والأرض لم يكن عبثًا، وأنه ما خلقهما إلا بالحق، وهو كونهما تدلان علىٰ وحدانيته وقدرته، واستحقاقه صرف العبادة له وحده دون ما سواه، وإن الساعة التي يحاسب الناس فيها علىٰ أعمالهم؛ لآتية حقًّا ويقينًا، فاصفح يانبي الله صفحًا جميلًا لا أذيَّة فيه، واعف عنهم عفوًا كريمًا.

[٨٦] واعلم يانبي الله أن ربك هو الخلاق الذي خلق كل شيء، وأنه العليم بكل شيء.

[٨٧] ثم أخبر سبحانه أنه أعطىٰ نبيه ﷺ السبع المثاني، وأعطاه هذا القرآن العظيم، وهذا امتنان وتفضل منه جل وعلا علىٰ نبيه صلوات الله وسلامه عليه. والسبع المثاني فيها قولان: **أحدهما**: وهو قول كثير من العلماء والمفسرين أنها سورة الفاتحة. **والثاني**: أنها السور السبع الطوال التي في أول القرآن.

[٨٨] ثم وجَّه جل وعلا رسوله ﷺ وعباده المؤمنين أن لا ينظروا ولا يعجبوا بشهوات الدنيا وأصناف النعم التي متع الله بها المشركين، وأن لا يحزنوا علىٰ كفرهم وجحودهم، ثم أمرهم سبحانه أن يتواضعوا لعباد الله المؤمنين الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله الأمين ﷺ.

[٨٩] وقل يانبي الله لقومك: إني أنذركم عذاب الله، وقد بينت لكم حقيقة التوحيد بيانًا واضحًا لا لبس فيه ولا خفاء.

[٩٠] وقل لهم: لا تكونوا كاليهود والنصارىٰ الذين قسّموا كتابهم، وتحزبوا فرقًا، وأخذ كل فريقٍ من الدين ما يناسب هواه وتعصب لذلك.

[٩١] واحذروا يامن فعلتم فعل اليهود والنصارىٰ وفرقتم القرآن وجعلتموه أقسامًا وأجزاءً؛ حيث إن منكم من قال: إنه سحر، ومنكم من قال: إنه كهانة؛ فسوف يحل بكم سخط الله وعقابه كما حل بمن قبلكم من اليهود والنصارىٰ الذين قسموا كتابهم علىٰ حسب أهوائهم ورغباتهم، وأنهم كانوا يؤمنون ببعض ولا يؤمنون ببعض.

[٩٢] ثم أقسم جل وعلا لنبيه ﷺ أنه لن يترك هؤلاء المشركين والمكذّبين والمستهزئين؛ بل ليسألنهم جميعًا يوم الجزاء والحساب.

[٩٣] ثم بين سبحانه أنه سيسألهم عن كل ما فعلوا من تكذيب وإعراض واستهزاء وأذية. [٩٤] ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ أن يجهر بما أمر به من الدعوة إلىٰ التوحيد، وترك الشرك والتنديد، وأن يظهر دينه، ولا يبالي بالمشركين. [٩٥] ثم أخبر جل وعلا نبيه ﷺ أنه قد كفاه وحفظه من هؤلاء المستهزئين ومن استهزائهم.

[٩٦] ثم بين سبحانه أن هؤلاء المستهزئين هم الذين يشركون مع الله آلهة أخرىٰ، وبين أنهم سوف يعلمون عاقبة استهزائهم وإشراكهم، وذلك يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتىٰ الله بقلب سليم. وهذا عام في كل من استهزأ برسول الله ﷺ، أو بما أنزل عليه؛ سواء في حياته أو بعد مماته ﷺ.

[٩٧] ثم يسلّي جل وعلا رسولَه ﷺ ويصبّره علىٰ احتمال الأذىٰ من المشركين، وأنه سبحانه يعلم بأن صدره يضيق وينقبض حزنًا من أقوالهم واستهزائهم، ورميه بالكذب والسحر والجنون، ويضيق صدره من مبالغتهم في كفرهم وعنادهم وتكذيبهم القرآن.

[٩٨] ثم ختم سبحانه السورة بإرشاد نبيه ﷺ إذا فزع وضاق صدره من أفعال وتصرفات قومه أن يسبح بحمد ربه شاكرًا له ومثنيًا عليه؛ فإن التسبيح ينجي من الهم والغم والخوف والحزن، ثم أمره بكثرة الصلاة فإن ذلك يكفيه ما أهمه.

[٩٩] ثم أمره أن يستمر في عبادة ربه، وأن يستكثر مما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال، وأنواع العبادات والقربات؛ حتىٰ يحين أجله، ويأتيه الموت.

## سورة النّحل

سورة النحل مكيّة وآياتها ثمان وعشرون ومائة آية، وهذه السورة سماها شيخ الإسلام ابن تيمية: سورة تعداد نِعَم الله.

[١] بدأت السورة ببيان أن يوم القيامة آتٍ لا محالة في الوقت المحدد الذي يعلمه هو، فلا تستعجلوه أيها المشركون، وفي ذلك تسلية للمؤمنين بالنصر والثواب، وإهانة الكافرين بالخسران والعقاب، ثم نزه سبحانه وتعالىٰ نفسه عن إشراك المشركين. وقد عبر بالفعل الماضي فقال: ﴿أَتَىٰٓ﴾ تأكيدًا لإتيانه في المستقبل القريب، وقوله: ﴿أَتَىٰٓ﴾ بهذه الصفة إجابة للكفار من قريش الذين استعجلوا العذاب، وقالوا للرسول ﷺ: ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص:١٦]، وقال تعالىٰ عنهم: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾[العنكبوت:٥٤].

[٢] ثم أخبر جل وعلا أنه ينزّل الوحي علىٰ من يختار ويصطفي

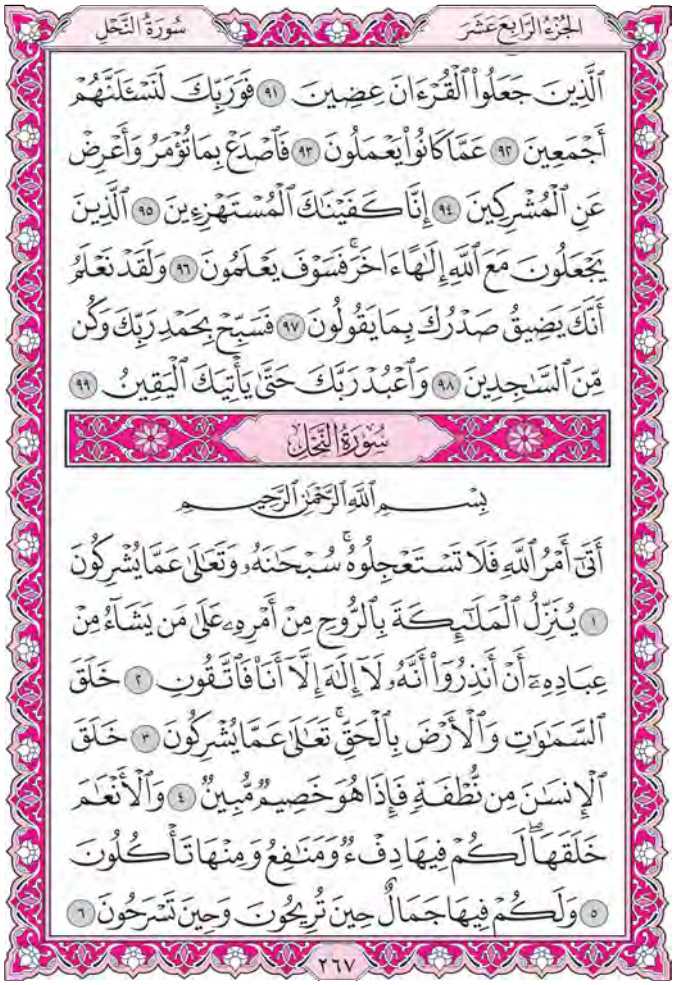


من عباده عن طريق جبريل عليه السلام، ثم بين سبحانه أن القضية الأساسية التي بُعث من أجلها هؤلاء الرسل: هي قضية الأمر بالتوحيد، والنهي والنذارة عن الشرك؛ فعلىٰ جميع الخلق أن يجعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية؛ بتوحيده وفعل أوامره، وترك الشرك واجتناب المعاصي.

[٣] ثم أخبر سبحانه أنه خلق الأجرام السماوية والأرضية بالحق الذي اقتضته حكمته، وللدلالة علىٰ قدرته وعظمته؛ ولأن مصالح عباده اقتضت ذلك، فتنزّه سبحانه وتعاظم بذاته وصفاته عن العبث.

[٤] ثم ذكر جل وعلا أنه خلق الإنسان من نطفة، ثم بعد تدرجه في مراحل النمو أصبح خصيمًا مبينًا، ومناضلًا مجادلًا، يدلي بالحجج، وهذا إثبات لعظمته وقدرته وحكمته، فسبحان من أحسن كل شيء خلقه.

[٥] ثم بين جل شأنه أن هذه الأنعام التي تحت أيديكم من إبل وبقر وغنم، خلقها الله لكم، ويسّر لكم عن طريقها منافع كثيرة، ومن ذلك: أنكم تتخذون من أصوافها وأوبارها ملابسَ تستدفئون بها في البرد الشديد، وتصنعون منها الأثاث والمساكن، وتنتفعون بركوبها واستخدامها في الحرث، وتنتفعون أيضًا بنتاجها مما تلد، ومما يخرج منها من اللّبن ومشتقاته، وتأكلون من لحمها الطيب.

[٦] ثم بين سبحانه أن لكم في هذه الأنعام جمالًا وزينة تسرّ الناظرين في ركوبها حين تسريحها إلىٰ مراعيها صباحًا، وحين ردِّها إلىٰ منازلها مساء.